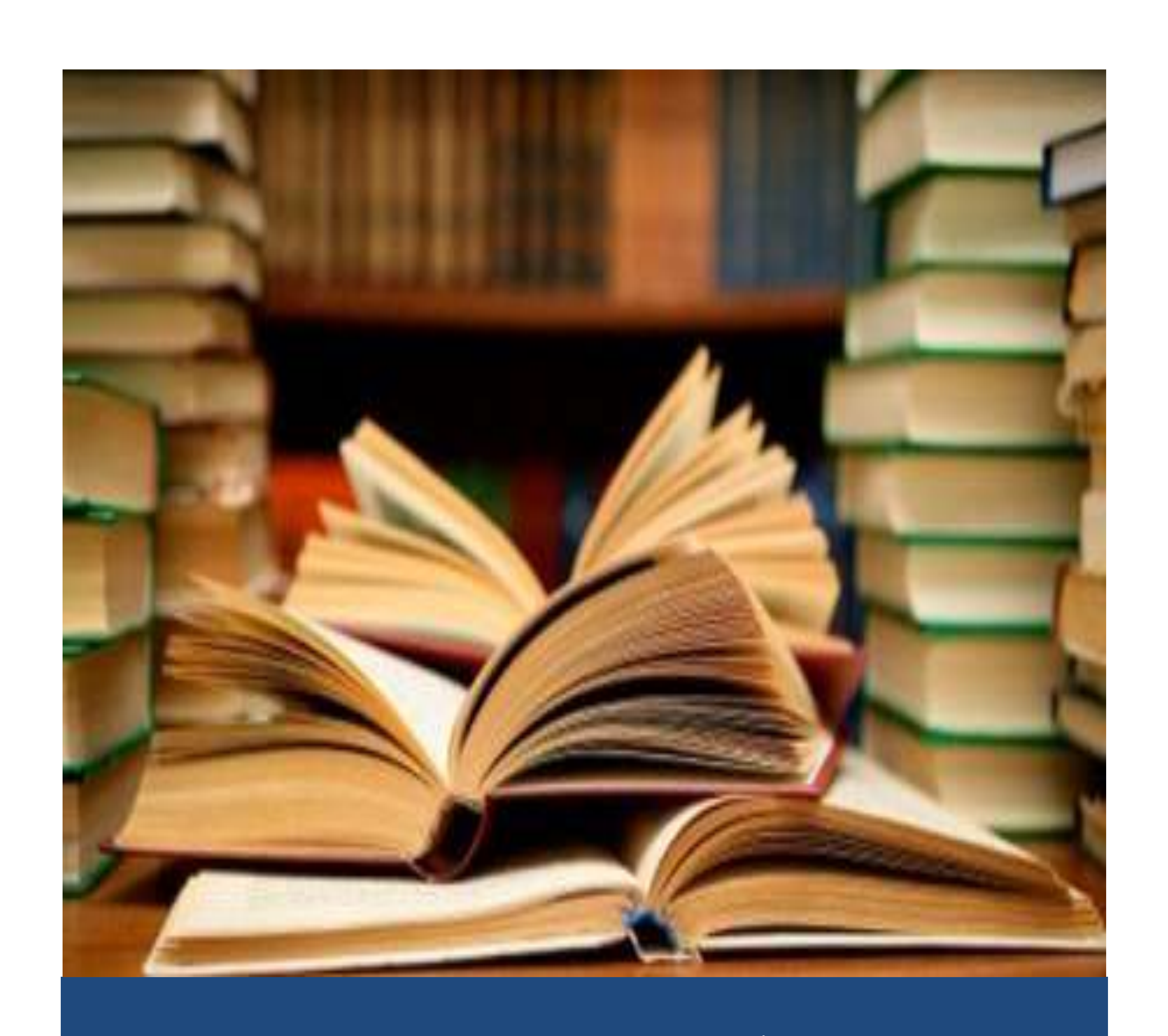


شرحِ: مُقَدِّمةُ ابنِ أبي زيدٍ القيرواني 2

برنامج تقريب علوم الشريعة

شرح : قتيبة الأغلبي

شرح الدروس من 12 الى 14

مقال (11)



قال المصنّف: وأنّه فوق العرش المجيد بذاته (1) وهو في كل مكانٍ بعلمه (2).

شرح مُشكِل المباني:

★ فوق: بمعنى على.

★العرش: أعظم المخلوقات وأوّلها خلقا.

★ المجيدِ: المجد هنا صفةٌ للعرش بمعنى أنه عظيم كريم وعالي القدر.

★ بذاته: للاحتراز من مذاهب منحرفة ظهرت لذلك ترد عند المتقدّمين من السلف لأنهم لم يكونوا يحتاجون إليها.

شرح المعاني:

(1) صفة العلو: الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقهِ.

علو الله تبارك وتعالى على معنيَيْن:

★ **علوّ مكانٍ** بمعنى أنه عالٍ مستوٍ على عرشه (وهذا هو اللفظ الوارد في الكتاب وليس فوق عرشه) بذاته بما يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

★ **وعلوّ مكانـةٍ**: أي أنه قاهر لمخلوقاته بسلطانه. (وهو القاهر فوق عباده).

فلا نؤوّل العلو والاستواء كما فعل المؤّولة الذين ينفون استواءه على عرشه ويقولون إنما المعنى هو الاستيلاء ويؤوّلون العلوّ إلى العلوّ المعنوي حتى قالوا (ليس فوق العرش إله). ويقولون أن العرش هنا بمعنى المُلك لا العرش على الحقيقة.

قال تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى). فقدّم سبحانه "على العرش" قبل ذكر الفعل وهو الاستواء لتكون صيغة خبر جازمة تفيد الحصر. فلا يُقال أنه سبحانه قد استوى على شيء آخر غير العرش. وتفيد كذلك

الحصر المعنوي فلا يمكن صرف معنى الاستواء إلى الاستيلاء لأن الصيغة صيغة حصر إذا كانت في معنى الاستيلاء تكون بمعنى أنه سبحانه لم يستولِ إلا على العرش وهذا ممتنع في حقه سبحانه.

وطريقة السلف في اثباتها كما قال ربيعة -وتروى كذلك عن مالك- : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وهذه قاعدة جليلة في الأسماء والصفات.

أورد المصنّف كلمة "ذاته" لبيان أنه سبحانه بائنٌ عن خلقه بذاته، منفصلون عنه في وجودهم. لا كما يقول الحلولية أنه في كلّ مكانٍ حتى جعلوه يحلّ في مخلوقاته سبحانه عما يقولون.

وبائنٌ عنهم أيضا بمعنى أنه لا يفتقر إليهم؛ فلا العرش يُقلّه ولا يحيط به –كما يحاول المخالفون الزام أهل السنة- بل العرش وحملته محمولون بقدرة الله وهو غنيّ عنهم.

(2) الله سبحانه مع مخلوقاته بعلمه؛ أي يحيط بهم علما، خبير بهم؛ ولا يعزب عنه شيء ويعلم السرّ وأخفى.

الدليل: **(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).**

(وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى).

(وهو معكم أينما كنتم).

وهذه المعية العامة ولا تقتضي المعية المكانية فيكون الله في كل مكانٍ بل معية العلم والإحاطة وهي عموما على معنيين:

★ معية عامة: إحاطة علم الله بكلّ خلقه **(وهو معكم أينما كنتم).**

★ معية خاصة: وهي معية النصر والتأييد الخاصة بالمؤمنين : **(إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ).**

الخلاصة: يعتقد أهل السنة والجماعة أنّ الله سبحانه مستوٍ بذاته على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته بائنٌ من خلقه بذاته فلا يحل فيهم ولا يتّحدون معه وبائن عنهم بسلطانه وقدرته فلا يفتقر إليهم. وهو معهم بعلمه محيط بهم لا يعزب عنه شيء من أمرهم .

مقال (12)

⧗•⧗•⧗•⧗•⧗

قال المصنّف رحمه الله:

خَلَقَ الإنسانَ (1)، ويَعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه (2)، وهو أَقرَبُ إليهِ مِن حَبْلِ الوَرِيدِ (3)، وما تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إلاَّ يَعلَمُها، ولاَ حَبَّةٍ في ظُلُمَاتِ الأرضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِس إلاَّ في كتاب مُبين (4)، على العَرشِ اسْتَوى (5)، وعَلى المُلْكِ احْتَوى(6)،

شرح مُشكِلِ المباني:

★ **الإنسان:** آدم وذريّته.

★ **نفسه:** سريرة الإنسان ومكنون صدره.

★ **حبل الوريد:** وهو عرق في عنق الإنسان.

★ **كتاب مبين:** اللوح المحفوظ.

شرح المعاني: (1) و (2) و (3) مأخوذ عموما من قوله تعالى **((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)).**

وفيها مسائل:

(1) يجب الإيمان بأن الله خلق آدم بيديْه بشرًا فبدأ خلقه من ترابٍ. **قال تعالى ((أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ)).**

ثم صار طينًا ثم نفخ فيه من روحه. قال **تعالى ((إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين))** وخلق زوجه من ضلعه وأنزله الأرض وجعلها مستقرًا ولذريته من بعده إلى حين. أما ما يزعمه بعضهم من أن الإنسان نتاج تطوّر طبيعي فهذا كفر بواحٌ لا يختلف فيه رجلان.

(2) يجب الإيمان الجازم بأن الله عليم بذات الصدور. **قال تعالى ((وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)).** وقال صلى الله عليه وسلم ((إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلّم)).

(3) المراد من هذا أنه أقرب ما يكون للإنسان بعلمه فلا يخفى عنه من حاله شيء. والظاهر أن المصنّف يقول بقول من قال أن الآية دليل على صفة القرب لله تعالى. وعليه فقرب الله من عباده قربٌ عامٌ بالإحاطة والعلم وقربٌ خاص بإجابة الداعي وإثابة العابد(**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)** قال صلى الله عليه وسلم **((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)).**

(4) سبق شرح هذا المعنى من إحاطة علم الله بكل شيء. وهو جزء من آية قال **تعالى ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)).** بل إنه سبحانه يعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون. قال الله عزَّ وجلَّ: **{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)).**

وقوله في كتاب مبين المقصود به الكتابة في اللوح المحفوظ وهي أحد مراتب القدر –يأتي الكلام عنه تفصيلا في حينه من شرح الرسالة- فالله سبحانه علِم كل شيء فكتب ماهو كائن قبل خلق الخلق؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال وما أكتب؟ قال: ما هو كائن) بمعنى** أنه لما خلق الله القلم أمره بكتابة ما سيكون إلى يوم القيامة.

(5): سبق شرحها.

(6) فالله مالك الملك بيده ملكوت السماوات والأرض وما بينهما، **قال تعالى ((تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)).** وملكه سبحانه مطلق لا ينازعه فيه أحد كما هو حال ملوك الدنيا، **قال تعالى ((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً)).** وجاء بها المصنف لنفي قول من قال ان استوى تأتي بمعنى استولى فذكرها لبيان المغايرة.

●••●•• ••●●•• ••●●•• ••●●•• ••●••●

مقال (13)



" وله الأسماء الحُسنى والصِّفاتُ العُلَى(1)، لَم يَزَل بِجَميعِ صفاتِه وأسمائِه، تَعالى أن تكونَ صفاتُه مَخلوقَةً، وأسماؤُه مُحْدَثَةً (2)".

(1) الأسماء والصفات لا تحتملان معنى النقص ولا تشبه أسماء وصفات المخلوقات الناقصة. بل كل معانيها معاني كمالٍ.

(2) الله متَسَمٍّ بأسمائه كلّها ومتَّصفٌ بكل صفاته، أزَلاً. فأسماؤه لا بداية للتسمّي بها فلا تكون مُحدَثةً. وكذلك الصفات غير مخلوقة لأنها معانٍ قائمة بالذات الإلهية وهي قسمان:

أ- صفات ذاتية: قائمة بالذات لازمة لها كالعلم والسَّمع والبصر والعلو واليد والساق.

ب- صفات فعليَّة: كالخَلْق والرَّزق والاستواء والنُزول والمجيء وغيرهم من الصفات التي تتعلّق بالإرادة والمشيئة. فهو الخالق قبل أن يخلق الخلق والرازق قبل أن يرزقهم. ولم يتصف بصفتيْ الخلق والرزق بعد وجود المخلوقات. ونؤمن أن الاستواء من صفاته قبل أن يخلق العرش. وكذلك صفة المجيئ في قوله عزَّ وجلَّ: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} رغم كون المجيئ يكون يوم القيامة فهو صفة لله سبحانه فهو يجيئ متى شاء وأراد.

=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=

=*= مجمل عقيدة المسلم في الأسماء والصفات =*=

=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=*=

يجب على المسلم الاعتقاد الجازم بالأسماء والصفات والدعاء بها؛ **((وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))**. فالأسماء والصفات توقيفية لا يحق له الاجتهاد في استخراجها واستنباطها فلا يسمّي الله ولا يصفه إلا بما جاء في القرآن والسنة.

والقاعدة العظمى في هذا الباب **((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))**. فيؤمنون بالأسماء والصفات دون تعطيل ولا تأويل ولا تفويض ولا تشبيه ولا تكييف.

إذن فالقواعد الإجمالية هي:

★ **التوقيف:** مصدر الأسماء والصفات الوحيد: الكتاب والسنة لا تقبل الزيادة ولا النقصان.

★ **اثبات دون تعطيل:** فما ثبت في الكتاب والسنة وجب الإيمان به ولا يُعطَّل بأي حجّةٍ.

★ **الإيمان بمعانيها دون تفويضٍ للمعنى:** فالمعنى لا نجهله لأن الشارع لا يخاطب المكلّف بما ليس في وسعه فهمه. السميع يدلّ على السمع ولا يُقال سميعٌ دون سمعٍ، والاستواء يدلّ على العلو والارتفاع، والنزول كذلك معلوم المعنى.

★ **الأسماء كلها حسنى والصفات كلها عُلى.** فالله جل جلاله قد تنزّه عن النقصان. فالعليم دل على علمه مطلق لا يخالطه نقيضه بأي وجه من الوجوه.

★**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.** فلا يشبه أسماءه وصفاته أحد من خلقه. فصفة الرحمة الإلهية لا تشبه بحال صفة الرحمة عند خلقه.

★امرار النصوص الواردة كما جاءت دون **تأويلٍ**.

★ **تفويض كيفية الصفة** دون تكييف مع ما سبق من الإيمان بمعناها اجمالا. فالاستواء معلوم المعنى مجهول الكيف.

★**الأسماء تدل على الذات وعلى الصفة:** فالخالق اسم يدلّ على الله سبحانه ويدلّ على صفة الخلق.

★ **باب الصفات أوسع من باب الأسماء:** فلا يشتق منها أسماء. فصفة النزول الثابتة لا تسوّغ إطلاق اسم النازل.

●••●•• ••●●•• ••●●•• ••●●•• ••●••

قتيبة الأغلبي